

روح المعاني

دونك فانتصرى أو يتضمن شتما فذلك أيضا يرفع إلى الحاكم ليعزره والحديث محمول على القسم الذى جرى فيه الانتصار وقوله صلى الله عليه وسلم : ما لم يعتد المظلوم يدل عليه لأنه إذا كان حقه الرفع إلى الحاكم فاشتغل بالمعارضة عد متعديا انتهى وهو تفصيل حسن وقيل : معنى بإثمى باثم قتلى ومعنى بإثمك إثمك الذى كان قبل قتلى وروى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما وقتادة ومجاهد والضحاك وأطلق هؤلاء الإثم الذى كان قبل وعن الجبائى والزجاج أنه الإثم الذى من أجله لم يتقبل القربان وهو عدم الرضا بحكم الله تعالى كما مر وقيل : معناه باثم قتلى وإثمك الذى هو قتل الناس جميعا حيث سنت القتل وإضافة الإثم على جميع هذه الأقوال إلى ضمير المتكلم لأنه نشأ من قبله أو هو على تقدير مضاف ولا حاجة إلى تقدير مضاف إليه كما قد قيل به أولا إلا أنه لاختفاء فى عدم حسن المقابلة بين التكلم والخطاب على هذا لأن كلا الإثمين إثم المخاطب والامر فيه سهل والجار والمجرور مع المعطوف عليه حال من فاعل تبوء أى ترجع متلبسا بالإثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات إنما هو عدم ملابسته للإثم لاملابسة أخيه إذ إرادة الإثم من آخر غير جائزة وقيل : المراد بالإثم ما يلزمه ويترتب عليه من العقوبة ولا يخفى أنه لا يتضح حينئذ تفريع قوله تعالى : فتكون من أصحاب النار على تلك الإرادة فان كون المخاطب من أصحاب النار إنما يترتب على رجوعه بالإثمين لاعتلى ابتلاء بعقوبتهما وهو ظاهر وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليه العقوبة النارية يردده كما قال شيخ الاسلام قوله سبحانه : وذلك جزاؤا الظالمين .

29 .

- فانه صريح فى أن كونه من أصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لما قبله وهى من كلام هابيل على ما هو الظاهر وقيل : بل هى إخبار منه تعالى للرسول A فطوعت له نفسه قتل أخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع إذا اتسع وترتيب التطويع على ما قبل من مقالات هابيل مع تحققه قبل كما يفصح عنه قوله : لأقتلنك لما أن بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله وإن كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه فى الحقيقة أمر حادث وصنع جديد أو لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناءا على تررده فى قدرته على القتل لما أن أخاه كان أقوى منه وأنها حصلت بعد وقوفه على استسلامه وعدم معارضته له والتصريح بأخوته لكمال تقبيح ماسولته نفسه وقرأ الحسن فطاوعت وفيها وجهان : الأول أن فاعل بمعنى فعل كما ذكره سيبويه وغيره وهو أوفق بالقراءة المتواترة والثانى أن المفاعلة مجازية بجعل القتل يدعو النفس إلى الاقدام عليه وجعلت النفس تأباه فكل من

القتل والنفس كأنه يريد من صاحبه أن يطيعه إلى أغلب القتل النفس فطاوعته و له للتأكيد والتبيين كما فى قوله تعالى : ألم نشرح لك صدرك .
والقول بأنه الاحتراز عن أن يكون طوعت لغيره أن يقتله ليس بشء فقتله أخرج ابن جرير عن ابن مجاهد وابن جريج أن قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل فتمثل له إبليس اللعين فى هيئة طير فأخذ طيرا فوضع رأسه بين حجرين فشدخه فعلمه القتل فقتله كذلك وهو مستسلم وأخرج عن ابن مسعود وناس من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أن قابيل طلب أخاه ليقتله فراغ منه فى رؤوس الجبال فأتاه يوما متن الايام وهو يرعى غنما له وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات فتركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن إلى أن بعث الله تعالى الغراب وكان لهابيل لما قتل عشرون سنة واختلف فى موضع قتله فعن عمرو الشيعانى عن كعب الأخبار أنه قتل على